

رجل الدم والحديد

« ناپوليون بوناپرت »

ذلك الجبار الطاغية ! رأيتُه مضطجعا ضخيمته الأخيرة وقد أخرج من الموت لسانه وأبطل القبر صوته
جرّد سيفه فأقلق الكون ، وتمادى في جبروته فازعج السموات . وضع قدمه اليمنى على « اهرام » مصر ، واليسرى على « كرملين » القيصري ، ثم صاح بأوربا صيحة مرعبة ، فكان لزئيره دوي ضجّت له الأرض ، وهلعت له الكائنات

رجل الدم والحديد !

كان يرى العالم كما يرى النسر النملة من علوه الشاهق . هدم « الباستيل » ؛ ليطلق منه الأسرى ؛ ثم بنى على انقاضه باستيلا آخر ، سجن فيه العالم أجمع . وكان السعد يخدمه ، فنصره في « اوسترلتز » ، وعقد له الظفر في « مازنجو » ، وحالفه في الاهرام . فلما رأى الله طغيانه ، قال : ليس حسنا أن يبني هذا النسر عشه في الجو لئلا يقلق السماء ؛ هلمّ نزل ونضربه فلا يزعج الكائنات !

وكان ظلّ ذلك الجبار يلقي رعبا على المسكونة ؛ وكلما رفع يده ، تتلمس أوربا رأسها ، لترى هل هو بعد على عنقها !

لو ولدت فرنسا بوناپرتا آخر لاضطرّ الله أن يتجسّد مرة أخرى لا نقاذ العالم من شرّه وطغيانه . ألم يحفر جهنما أخرى في الأرض ، ليدفن فيها

أوربّا ؛ ألم يستو على عرش مصنوع من عظام القتلى ، ومصبوغ بدمائهم
وكان الفضاء مملوءاً بدويّ مزعج : انين الارامل وبكاء الشواكل ،
وعويل النادبات ؛ من ساحة « اوسترتز » الى برارى « موسكو »

ثم حدث بعد ذلك سكوتٌ طويل ، لأنّ الكائنات حبست انفسها
لتنظر الى شبح ذلك الطاغية . ونادى المريح ابنه فقال « تقلّد سيفك ،
أيها الجبار ، ولا يغرك نجم سعدك ؛ فان بعد « اوسترتز » ، « موسكو » ؛
وبعد « مارنجو » ، « واترلو » ؛

وكانت « ألبا » تتألم ، « والفديسة هيلانة » تفتح ذراعيها ؛ وقد
بدأ الشهاب المذنب بالسقوط من علوه الشاهق ، فترك وراءه خيطاً
ضئيلاً كان يضعف كلما اقترب من الافق

ولاحت في ذلك الافق غمامة سوداء ، بقدر كف اليد ؛ ثم أخذت
تكبر وتعلو ، الى ان صارت تهدد ذلك النجم اللامع
ولمح « نابوليون » تلك الغمامة ، فأراد ان يموت كما تموت الجبابرة .
فصاح بالكائنات صيحة مرعبة من على قمة الاهرام وقال « ايها الجنود ،
ان اربعين قرناً تنظر اليكم من قمم هذه الاهرام »

ثم مرّت الايام ، وذلك النسر يبسط جناحيه على المسكونة ؛ وكان
خفوقهما يقلق العماقة في قبورها ، ويلقي هلعاً في قلوب البشر
الآن لكل « جليات » داوداً

في ذلك اليوم سخر نابوليون من « ولنتون » . فأجابه ولنتن : « غداً
نلتقي في واترلو »

وكان « نيتون » ، اله البحر ، يُمدّ سفينة لنقل « جليات » الى جزيرة القديسة هيلانة . وتنفست ارامل اوربا ، لأن الله نهض لينتقم لدماء ازواجهن ، ويلجم ذلك التنين ،

أما ناپوليون فظل يحلم . رأى كل شيء ، ما عدا « ألبا » و « واترلو » وضاع عليه في الخارطة موقع القديسة هيلانة . لو درى بها يومئذٍ ، لأخسفها في قعر البحر ، وجعل من عليها أكلاً للتنانين العظام . ولكن « لويثان » كان يحرسها ويدفع عنها صدمات الجبار

ولما سقط ذلك النسر ، ألقته السفينة الى الباستيل المعد له واعتقلته بين أزرقين — ماءً وسماً . وتنفست أوربا ، لأن حملاً ثقيلاً أزيح عن صدرها ؛ واصبحت صروح اللوفر والتويلري تصفر فيها الريح

* *

هوذا اليوم يرقد رقدته الأبدية — عظيماً في موته كما في حياته —
والنفس تهيّب الأسد ولو كان جثة هامدة

ألا نتم يا صاحب الجبروت ، لقد احسنت بموتك الى العالم ، فهل
كفرت عن ذنوبك الى الله ؛ انت تطلب المجد حتى في القبر ؛ لذلك تنام
في حفرة عميقة حتى يكون كل من ينظر اليك حائى الرأس

انت في حفرة ترى القوم حولك بها خشوعاً فكيف لو كنت حياً

ليت شعري وقد نزلت برمس من ملك الدنيا تركت وصياً

فسلام عليك يوم طواك الـ * * * قبر ميتاً ويوم تُبعث حياً

سليم عبد الحميد